الناقر عليها. والذي ينقر على الأوتار قد يكون عاطفة طارئة، أو فكرة عابرة، أو حدثاً من الأحداث التي لا سلطان لنا عليها. ويأتينا رنين الأوتار أمواجاً تلوَ أمواج. فموجة فرح، وموجة حزن، وموجة تمجيد وتعظيم، وموجة تقريع وتبكيت، وموجة انتصار وانتشار، وموجة انكسار وانكماش إلى آخر ما في سُلّم المشاعر البشريّة من درجات. والسعيد السعيد من الناس من بلغ خريف عمره فكانت الأوتار التي شدّها منذ أوّل ربيعه حتى خريفه أوتاراً نقيّة المعدن، شجيّة الرنّة، صافية القرار. ذلك يجني من خريفه أطيب الثمار.

وفي خريف العمر يكثر التلفّت إلى الوراء ويقلّ التطلّع إلى الأمام. فنحن كلّما اقتربنا من النهاية المحتمة عدنا إلى الماضي نفتّش فيه عن زاد صالح لتلك النهاية. والويل لمن كان ماضيهم فخاخاً وأشواكاً وظلالاً كثيفة قاتمة ثقيلة. أولئك هم الذين شدّوا بأرجلهم وأيديهم أثقالاً ثمّ قالوا: «هلمّوا نصعد الجبل»، وإذ أرهقتهم أثقالهم فارتدّوا على أعقابهم خائبين راحوا يلعنون الجبل قائلين إنّه لجبل يعصي على الملائكة والشياطين. وأولئك هم الذين يضنيهم خريف العمر فيتمنّون لو كانت الحياة ربيعاً دائماً جاهلين أنّهم يتمنّون المستحيل. ثمّ يزعجهم التطلّع إلى الأمام إذ لا